السنة والبدعة

obeikandl.com

الطبعة الرابعة
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

حقوق الطبع محفوظة

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٩١

obeikandl.com

الإمام يوسف القرضاوي

السنة والبدعة

إعداد الدكتور

خالد خليفة السعد

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠

فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

obeikandl.com

السـنة والبـدعة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واستمسك بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به – أيها الإخوة الأحباب – تحيّة الإسلام، وتحية الإسلام: البسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثنا فى هذه الليلة المباركة، التى نسأل الله تبارك وتعالى أن يظلنا فيها برحمته، ويحفّنا فيها بملائكته، وينزل علينا سكينته، ويذكرنا فى ملأ عنده، حديثنا حول: (السنة والبدعة).

ولهذا الحديث مناسبة أشار إليها الأخ الشيخ معجب (١) حفظه الله ونفع به، أنّ مقالة نشرت فى مجلّة تصدر فى بلادنا كما قال، تحمل عنواناً بهذا السخف، أقرأه لكم: (استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلامى أم جاهلى؟!) يريد أن يقول: إنّ

---

(١) هو الشيخ معجب الدوسرى مدير المركز الإسلامى للدعوة والإرشاد بدولة قطر، وقد تفضّل بتقديم هذه المحاضرة.

استنكار البدعة موقف جاهلي! ينبغي ألاّ نستنكر البدعة، وأن ندع الناس يبتدعون ما شاءت لهم أهواؤهم، أو ما شاءت لهم شياطينهم من الإنس، ومن الجنّ.

لهذا أحببنا أن نردّ الأمور إلى أصولها، وأن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نحدّد المفاهيم، فإنّ تحديد المفاهيم في هذه القضايا أمر بالغ الخطورة، وترك هذه المفاهيم دون تحديد وتوضيح، تركها مادّة هلاميّة رجراجة، يجعل لمن شاء أن يفسّرها بما شاء، وهذا هو الخطر كل الخطر.

لذلك كان لابد أن نعرف معنى السنّة، ومعنى البدعة، وما موقف الإسلام من البدعة؟ ولماذ استنكر الإسلام البدعة؟ وهل معنى استنكار البدعة هو استنكار الجديد أيّ جديد؟ حتى يتضح الموقف، وتتبيّن الحجّة، وتزول الشبهة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.

معنى السنّة لغة واصطلاحاً [1]:

السنّة في اللغة: الطريقة المسلوكة، محمودة كانت أو مذمومة. فهناك السنّة الحسنة، وهناك السنّة السيّئة، كما صحّ بذلك الحديث الذي رواه مسلم وغيره: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيىء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة، كان عليه وزرها

---

(١) أنظر في هذا (المدخل لدراسة السنة النبويّة) للأستاذ القرضاوي ص ٧ - ١٣. ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

فالسنّة في هذا الحديث بالمعنى اللغوي، أي من اتخذ طريقة معينّة، في الخير أو في الشرّ، من وضع تقليداً حسنا، ووضع تقليداً سيّئا، ففي الحسن له أجره وأجر من اتبعه، وفي السيئ عليه وزره ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة.

ولكن في الاصطلاح الشرعي أصبح لها معنى، أو أكثر من معنى.

كثير من الألفاظ لها معاني لغوية، تحددّت لها في الشرع معاني اصطلاحيّة معينّة، كما نقول: الطهارة في اللغة: النظافة، وفي الشرع، رفع حدث، أو إزالة نجس، أو نحو ذلك. أو الصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

كذلك السنّة لها معناها اللغوي، ومعناها الشرعي الاصطلاحي.

الحقيقة أنّ السنّة في الشرع لها أكثر من معنى:

فهي عند الفقهاء: يُراد بها أحد الأحكام الشرعيّة، أي ما

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي باختصار، انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ١/ ١١٥، حديث ٤١). ومعنى قوله: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة» أي في عهده وزمنه وحال وجوده، لا في أحكامه وفروعه وأصوله.

يقابل الفرض والواجب – عند من يقول بالواجب – فهي بمعنى المندوب أو المستحب، وهو ما طلب الشارع فعله طلباً غير جازم، بحيث يُثاب مَنْ فَعَلَه، ولا يُعاقب مَنْ تَرَكَه، إلاّ إذا كان على وجه الإعراض عنه أو نحو ذلك، فيقال – مثلا – صلاة ركعتين قبل الصبح سنّة، ولكن صلاة الصبح فرض .

وعند الأصوليّين: السنّة ما جاء عن النبيّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير. وهي هنا مصدر من مصادر التشريع، ولذلك فهي تقابل الكتاب، يقال: هذا الأمر ثابت بالكتاب والسنّة .

والمحدّثون يضيفون إليها شيئاً آخر، فيقولون: السنّة ما أضيف إلى النبيّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف – خَلْقي أو خُلُقي – أو سيرة.

هناك أيضاً معنى آخر يهتمّ به أهل الشرع بالنسبة للسنّة، هو ما يقابل (البدعة)، أي ما سنّه النبيّ ﷺ وشرعه لأمّته، في مقابل ما ابتدعه المبتدعون من بعده، وهذا هو الذي جاء فيه حديث العرباض بن سارية، أحد أحاديث الأربعين النوويّة المعروفة: « . . وإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كلّ بدعة ضلالة »(١) .

ولهذا اشتهر عند الصحابة المقابلة بين السنّة والبدعة، قالوا:

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وأحمد، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١١٠، حديث ٢٤).

ما أحدث قوم بدعة إلاّ أضاعوا مثلها من السنّة. وقال ابن مسعود: الاقتصاد فى السنّة خير من الاجتهاد فى البدعة.

هـذا المعنى الأخير للسـنّة هو موضوع حديثنا الليلة. أمّا المعانى الأخرى فليست موضوع هذا الحديث، قد يكون لنا معها حديث أو أحاديث أخرى، قد نتكلم عن (السنّة كمصدر من مصادر التشريع)، قد يكون لنا حديث حول (السنّة كقول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة)، ولكن نحن نريد – فى هذه المحاضرة – الكلام عن السنّة المقابلة للبدعة، أى ما سنّه النبى ﷺ لأمتّه.. هديه عليه الصلاة والسلام، وهو خير الهدى، كما قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –: إنّما هما الكلام والهدى، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وأخذ هذا من خطبة النبىّ ﷺ التى كان يخطب بها: «أما بعد، فإنّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور مُحدثاتُها، وكُلُّ بدعة ضلالة» (١).

فكان النبىّ ﷺ يحذّر من هذا الابتداع، ويأمر المسلمين أن يتبعوا سنّته، وأن يحرصوا عليها، ويقول: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك» (٢).

---

(١) رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه (رياض الصالحين للنووى، باب النَهى عن البدع ومحدثات الأمور).

(٢) رواه ابن ماجه، والحاكم فى المستدرك من طريق الإمام أحمد، ورواه ابن أبى عاصم بإسناد حسن فى كتاب (السنة) حديث (٤٨) بتخريج الألبانى، وصححّه بمتابعه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١١٤، حديث ٣٩).

معنى البدعة عند الإمام الشاطبى :

ولكن ما معنى الابتداع؟ وما معنى البدعة التى اعتبرها النبى ﷺ ضلالة فى الدين؟

البدعة كما عرّفها الإمام المحقّق الفقيه الأصولى أبو إسحاق الشاطبى [١] : « طريقة فى الدين مخترعة، تضاهى الشرعيّة يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبّد لله سبحانه » [٢] .

هذا هو أصدق وأوثق التعاريف لمسألة (البدعة)، وهو تعريف دقيق جامع مانع كما يقول المنطقيّون .

البدعة مجالها الدين :

وقد تحدّد من خلال هذا التعريف، أنّ البدعة مجالها، وليس مجالها الدنيا، فهى « طريقة فى الدين مخترعة »، والدليل على هذا

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبى، أصولى حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمّة المالكية، توفى سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨م (الأعلام للزركلى ١٠ / ٧٥) . من كتبه : (الموافقات فى أصول الشريعة) وهو فريد فى بابه، وكتاب (الاعتصام) فى بيان السنّة والبدعة، وهو خير ما كتب فى تأصيل هذا الموضوع، وللأسف لم يعرف منه إلى الآن إلا نسخة واحدة، طبعها وصححها وعلق عليها إمام السلفيّة الحديثة : الشيخ المجدّد السيد محمد رشيد رضا رحمه الله، صاحب (مجلّة المنار) و (تفسير المنار) . والكتاب فيه كثير من النواقص والكلمات غير الواضحة، ولم توجد منه نسخة أخرى يمكنه أن يقابل النسختين أو النسخ بعضها ببعض، كما يفعل المحققون للنصوص دائماً . كما أن الشاطبى رحمه الله لم يتم الكتاب تأليفاً . . القرضاوى .

(٢) (الاعتصام) للشاطبى، جـ ١ / ص ٣٧، ط . دار المعرفة – بيروت .

قول النبيّ ﷺ : « من أحدث في ديننا ماليس منه فهو ردّ » [١] ، وفي بعض الروايات : « من أحدث في أمرنا – والمقصود أيضاً (أمر ديننا) – ما ليس منه فهو ردّ » [٢] أي مردود على صاحبه، كما تردّ العملة الزائفة على صاحبها .

هذا الحديث – أيضاً – اعتبروه من أصول الإسلام، وهو من أحاديث الأربعين النوويّة .

قالوا : إنّ هناك حديثين يكمّل أحدهما الآخر، حديث لابدّ منه لأنهّ ميزان الباطن، وهو حديث : « إنّما الأعمال بالنيّات » [٣]، وحديث لابدّ منه لأنّه ميزان الظاهر، وهو ما جاء به هذا الحديث : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ » .

فلابدّ لكي يُقبل العمل أن يكون فيه أمران :

١ – أن يُقصد به وجه الله تبارك وتعالى .

٢ – أن تكون صورته على ما يريد الشرع .

ولذلك لمّا سئل الإمام الفضيل بن عياض الفقيه الزاهد –

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها (شرح السنة للبغوي، بتحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط : ١ / ٢١١، حديث ١٠٣) .

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١١٢، حديث ٣٢) .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٠٢ – ١٠٣، حديث ٣) .

obeikandl.com

كان الزّهّاد الأوائل فقهاء – عن قوله تعالى: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك: ٢]: ما أحسن العمل؟ قال:: أخلصه وأصوبه. قيل له: يا أبا علىَ ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السّنّة.

أن يكون لله هو ما يعبر عنه حديث: «إنّما الأعمال بالنيات».

أن يكون على السنّة هو ما يعبر عنه حديث: «من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو ردّ» أو «من عمل عملا ليس على أمرنا فهو رد».

فالابتداع إذن لا يكون إلاّ فى الدين، ومن هنا يخطىء من يظنّ الابتداع فى أمور العادات.. الأشياء العاديّة لا يدخلها الابتداع، لا يمكن أن يقال: أنّ هذا الأمر من أمور الحياة: بدعة، لأن السلف من الصحابة والتابعين لم يفعلوه. قد يكون أمرا جديدا، ولكن لا يعتبر هذا بدعة شرعيّة، وإلاّ لاعتبرنا كثيراً ممّا نحن عليه الآن بدعة: هذا الميكروفون، وهذا السجاد، وهذه الطاولة، وهذه الكراسى التى تجلسون عليها، لم يفعلها المسلمون الأوائل، ولم يفعلها الصحابة، فهل يُعتبر هذا بدعة؟!.

ولذلك قد يخطىء بعض الناس فى هذه القضية، حتى أنّه – مع الأسف – إذا رأى المنبر أكثر من ثلاث درجات يقول: هذه

بدعة. لا .. لا دخل بالبدعيّة في هذه القضية. النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب في أوّل الأمر على جذع نخلة، فلمّا كثر الناس قيل له: ألا نجعل لك شيئاً تقف عليه حتى يراك الناس؟ فجيء بنجّار، قيل إنه نجّار روميّ، وصنع له المنبر من ثلاث درجات، ولو احتاج الأمر إلى أن يكون أعلى من ثلاث درجات لفعل، فهذه الأمور لا دخل لها في البدعة.

ولذلك من المهمّ جداً – أيها الإخوة – أن نعرف هنا ما هي السنة؟ وما هي البدعة؟

أيضاً يحصل الخطأ هنا بالنسبة لأفعال النبي ﷺ، فبعض الناس يظنّ أنّ كل ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام سنّة، مع أنّ العلماء قالوا: السنّة منه ما ظهر فيه وجه القربة.. ما فعله على وجه التقرب إلى الله تعالى [1].

ومن أمثلة ذلك: أنه ﷺ كان – في بعض الأحيان – يصلّي ركعتي الفجر، ويضطجع على جنبه الأيمن [2]، ففهم بعض

---

(١) راجع في هذا ما كتبه الدكتور القرضاوي عن فعله ﷺ في كتابه (المدخل لدراسة السنة النبوية) ص ٢٤ – ٣٢. وللأستاذ القرضاوي أيضاً محاضرة ألقاها بكلية الشريعة في جامعة قطر حول (السنّة النبوية وتنوّعها)، كما أنّ له بحثا بعنوان: الجانب التشريعي في السنّة النبوية نشره مركز السنة والسيرة في مجلته السنوية، العدد.... وكذلك في كتاب (السنة مصدرا للمعرفة والحضارة).

(٢) عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان النبي ﷺ إذا صلّى ركعتي الفجر اضطجع على شقّه الأيمن» أخرجه البخاري في كتاب (التهجد) باب: الضجعة على الشقّ الأيمن بعد ركعتي الفجر.

العلماء – ومنهم ابن حزم – أنه لابدّ بعد صلاة ركعتى الفجر من الاضطجاع على الجانب الأيمن، فقالت عائشة فيما روى عنها: «إنّ النبىّ ﷺ لم يضطجع لسنّة، ولكنّه كان يدأب ليلته فيستريح»(١).

إذن المهم أن يُعرف من العمل ما قصد فيه السنّيّة وما لم يقصد.

وهنا يحصل خلط كثير جداً، كما فى مسائل الأكل مثلاً.

بعض الناس يرى أنّ الأكل بالملعقة، أو بالشوكة، أو الجلوس على مائدة – طاولة وحولها كراسى – بدعة، وهذا غلوّ، فإنّ هذه من العادات التى تختلف باختلاف الأعوام والبيئات والأحوال.

النبىّ ﷺ كان يأكل على عادة قومه، وبخاصة ما وافق طبيعته ﷺ .. طبيعة التيسير والتواضع والزهد، لكن لا يُعتبر من أكل وهو على مقعد، أو أكل بملعقة، أنّ هذا بدعة فى الدين.

على خلاف بعض الأشياء الأخرى.

فى مرة من المرات ناقشنى باحث كبير – وهو ممّن يكتبون فى المجلاّت وأحياناً يكتب فى الإسلاميّات – فى مسألة الأكل باليمين، قال: هذه ليست سنّة، لأنهّا من الأشياء العاديّة، قلت: لا، هنا نقف، مسألة الأكل بالملعقة وبالشوكة، وعلى الأرض أو على الطاولة، هذه مسألة تتعلّق بالفعل، وكلّ إنسان يفعل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، وفى إسناده راو لم يسمّ (فتح البارى) كتاب التهجد: باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع.

ما يفعله قومه، ما لم يظهر فيه وجه القربة، أو وجه السنّية المقصودة، أما مسألة الأكل باليمين، فهنا يبدو أنّ هناك قصداً للنبيّ ﷺ، لأنّه أمر بهذا أمراً حينما قال للغلام: «ياغلام سمّ الله، وكل بيمينك، وكل ممّا يليك» (١). وأكثر من ذلك أنّه نهى عن ضدّ هذا حينما قال: «لا يأكلنّ أحدكم بشماله، ولا يشربنّ بها، فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها» (٢). ولذلك قال بعض العلماء: إنّ ذلك يدلّ على الحرمة، لأنهّ شبّه فاعله بالشيطان، ولا يشبّهه بالشيطان في أمر مكروه.

وحينما رأى بعض الناس يأكل بشماله وقال له: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت (٣). فدعا عليه فلم يرفع يده اليمنى بعد ذلك، فدلّ على أنّ الأمر مشدّدٌ فيه.

ولذلك يجب أن نقف في هذه الأمور عند حدود ما ورد، ونعرف الذي قصدت سنّيته، وقصد فيه القربة إلى الله تعالى، وما جاء على طريق العادة، أو على طريق الجبلّة (أي الطبيعة).

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (شرح السنّة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ١١ / ٢٧٥، حديث ٢٨٢٣).

(٢) رواه مسلم، والترمذي، ورواه مالك، وأبو داود بنحوه، من حديث ابن عمر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٥٩٨ - ٥٩٩، حديث ١٢٣٨).

(٣) روى مسلم في صحيحه عن إياس بن سلمة بن الأكوع، أنّ أباه حدّثه: أنّ رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلاّ الكبْر، قال فما رفعها إلى فيه (كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما).

أحياناً كان النبى ﷺ يفعل أشياء كما يفعل قومه، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويلبس كما يلبسون.

وأحياناً عن طريق الجبلّة، مثل كونه ﷺ يحب (الدبّاء) – أى القرع – هل مطلوب من كل واحد منّا أن يحب القرع؟ هذه مسائل تتعلّق بأمزجة الناس وبطباعهم وأذواقهم ونشأتهم، واحد يحب القرع، وآخر يحب السبانخ.... الخ.

كان ﷺ يحب لحم الذراع، هل مطلوب من كل واحد أن يحب لحم الذراع؟ قد يوجد من يحب لحم الرقبة أو الظهر، ومن يحب لحم الفخذ.... الخ.

. إذا اتفقت محبتك مع محبة النبى ﷺ، فهذا خير وبركة. ولو أنّ إنساناً اتبع ما كان يفعله النبى ﷺ ولو لم يكن على وجه القربة، لكمال حبه للنبىّ ﷺ، وحرصه على اتباع كلّ شىء أُثرِ عنه، فهذا أيضاً يُحمد له، وإن لم يطلب منه.

لو أن إنساناً قال: أنا أريد أن اتبع ما فعل الرسول الكريم وإنّ كانت القربة غير مقصودة منه، إلاّ أنىّ أحبّ أن آكل على الأرض، وأن آكل بيدى، كما كان يفعل النبىّ ﷺ، نقول له: جزاك الله خيراً. ولم ننكر عليه بحال سلوكه هذا، وربما أجر على نيته.

وقد كان ابن عمر من شدّة تعلّقه بآثار رسول الله ﷺ، وكمال حبّه له، يتبعه فيما لا يُعرف أنّه أمر قُصد به القربة، أو طلب فيه الاتباع (١). وكذلك بعض الصحابة رضى الله عنهم.

---

(١) ولهذا عرف (بالصحابى المتأسّى) برسول الله ﷺ لشدّة تأسّيه به فى أقواله وأفعاله.

فمثلاً رآه بعض الصحابة يصلّى محلولاً أزراره، فلما سأله بعض أصحابه عن ذلك قال: إنه رأى النبىّ ﷺ يفعل ذلك (١) . لعل النبىّ ﷺ فعل ذلك فى يوم حار أو صائف ، فتأتى أنت فى البرد فتفعل هذا! إنّما هو رأى رآه ابن عمر.

كان مسافراً مرّة فحاد عن الطريق. . مال إلى جانب منه، فاستغرب مَنْ معه، فقال خادمه أنّه فعل ذلك لأنّه كان مع النبى ﷺ ، فلمّا جاء إلى هذا المكان حاد عن الطريق (٢) .

فى رحلة من رحلات الحج - أيضاً - أناخ راحلته، فأناخ من معه رواحلهم، وقالوا: ماذا تريد؟ كلّ ما فعله أنّه ذهب إلى مكان وقضى حاجته، فلما سئل قال: إنّ النبى ﷺ لمّا حج جاء إلى هذا المكان فقضى حاجته فيه (٣) .

---

(١) روى ابن خزيمة فى صحيحه، والبيهقى فى سننه، عن زيد بن أسلم قال: رأيتُ ابن عمر يصلّى محلولاً أزراره، فسألته عن ذلك فقال: «رأيت رسول الله ﷺ يفعله».

(٢) عن مجاهد قال: كنّا مع ابن عمر - رضى الله عنه - فى سفر، فمرّ بمكان، فحاد عنه، فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: «رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت» رواه أحمد والبزار بإسناد جيّد، وقال الهيثمى: رجاله موثقون (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١١٢، الحديث ٣١).

(٣) عن ابن سيرين قال: كنا مع ابن عمر - رحمه الله - بعرفات، فلمّا كان حين راح رحتُ معه، حتى أتى الإمام، فصلّى معه الأولى والعصر، ثم وقف وأنا وأصحاب لى حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنّه يريد أن يصلّى فقال غلامه الذى يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أنّ النبىّ ﷺ لما انتهى إلى=

هل هذا مطلوب من المسلم؟ ليس مطلوبا، إنّما هذا من كمال الحبّ للنبى ﷺ.

كان يحب أن يضع ناقته حيث وضعت ناقة النبى ﷺ أرجلها، يعنى حيث وقفت.

هذا النوع لا نذمّه إذا لم يطالب صاحبه الناس به، ولكنه ليس مطلوباً، فيجب أن يُعرف أنّ هذا ليس مُلزماً به الناس، ولا مفروضاً عليهم، ولا سنيّته مقصودة.

من فعل هذا فقد أحسن، ولكن الخطأ أنّه يريد من الناس أن يفعلوا هذا، أو ينكر على من لم يفعله، أو يذمّه، أو يعتقد أنّ هذا من صلب الدين، أو جزء منه، أو من تركه ترك السنّة.

ولذلك من المهم – أيها الإخوة – أن نفّرق فى هذا المقام بين السنّة الحقيقيةّ والبدعة.

الاختراع ينبغى أن يكون فى شؤون الدنيا:

البدعة كما قلنا: «طريقة فى الدين مخترعة»، إذاً الإسلام يريد من أتباعه ومن أهله أن يقفوا فى أمر الدين عندما ورد، وأن يوفرّوا طاقتهم الإبداعيّة للابتكار فى شؤون الدنيا، وهذا ما فعله السلف رضوان الله عليهم.

= هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضى حاجته» رواه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح.

وقد ذكر هذه الآثار الحافظ المنذرى فى (الترغيب والترهيب) فصل: الترغيب فى اتباع السنة. وانظر (المدخل لدراسة السنة النبوية) للأستاذ القرضاوى ص ٢٤ – ٣٢.

السلف وقفوا عند حدود الوارد في أمر الدين.. عند حدود المأثور.. عند السنن، وبذلوا طاقتهم وجهودهم في الابتكار لتحسين أمور الحياة.

تجد في سيرة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أشياء كثيرة اسمها (أَوَّليّات عمر) : هو أوّل من دوّن الدواوين، وأوّل من مصّر الأمصار، وأوّل من عسَّ على الرعية، وأوّل من كذا وكذا.

وهناك كتب اسمها (الأوائل)، أي أوائل الأشياء التى سنّها السلف.

فالصحابة ابتكروا أشياء كثيرة لمصلحة المسلمين.

ومعنى « مخترعة » أي ليس لها أصل في الشرع، وأصل كلمة (بدعة) مأخوذة من (بدع) و (ابتدع) يعنى اخترع شيئاً على غير مثال سابق. ولذلك قال القرآن في وصف الله جلّ الله جلاله : « بديع السموات والأرض » أي أنّ الله سبحانه وتعالى مخترعها من غير مثال سابق متقدّم [١] .

فالابتداع هو اختراع على غير ما كان عليه الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين المهديين الذين أُمرنا أن نتبع سنتهم.

ما كان له أصل فى الشرع لا يُعدّ بدعة :

إنّما لو كان له أصل في الشرع فلا يكون بدعة.

هناك أشياء اخترعها المسلمون لها أصل في الشرع، مثل

---

(١) (الاعتصام) للشاطبي، جـ ١ / ص٣٦، ط. دار المعرفة - بيروت.

كتابة القرآن وجمعه في مصحف واحد، كما فعل ذلك أبو بكر بإشارة عمر رضي الله عنهما.

وأبو بكر في أوّل الأمر توقّف في هذا الأمر وقال: كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ﷺ، ولكن لم يزل عمر يحاول مع أبي بكر ويقنعه حتى اقتنع (١)، لأنّ في ذلك خير ومصلحة وإن لم يفعله النبيّ ﷺ، إنّما الدين جاء بحفظ القرآن، والقرآن أساس الدين وينبوعه وكلّيته الأبديّة، فلا بدّ أن نحافظ عليه من أيّ ضياع، أو من أيّ اشتباه.

وقد أذن النبي ﷺ في كتابة الوحي عند نزوله، وكان له كتّاب وحي يكتبون ما ينزل عليه من القرآن، كلّ هذا لحفظ القرآن.

والنبيّ عليه الصلاة والسلام لم يجمع القرآن كلّه في مصحف واحد في حياته، لأنّ القرآن لم يكن قد اكتمل، كان لا يزال ينزل، فيغيّر الله ما يشاء، فلو جمع في مصحف واحد لتعسّر تغييره كلّ وقت. وأحياناً تنزل الآية ويقول: ضعوها في سورة كذا، والسورة لا يعرف اكتمالها حتى تمّ نزول القرآن.

فسورة البقرة – مثلاً – نزلت في أوائل العهد المدني، ولكن لم يكتمل نزولها إلاّ بعد ثمان سنين، وفيها آيات يعتبرها العلماء من أواخر ما نزل من القرآن، كما جاء عن ابن عباس –

---

(١) وكذلك الشأن مع زيد بن ثابت الذي أمره أبو بكر بتتبع القرآن وجمعه، ولكن لم يزل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.

رضى الله عنهما - أنّ آخر ما نزل من القرآن قول الله تعالى: ﴿ واتَّقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فهناك مانع إذن منع النبىّ ﷺ من أن يجمع القرآن، فلمّا استقر القرآن بموته ﷺ أمن الصحابة من زيادة القرآن ونقصه، فعملوا على كتابة القرآن وجمعه فى مصحف واحد.

إذنْ هذا العمل له أصل فى الشرع يدلّ عليه، فلا يُعتبر بدعة.

ومن ذلك ما فعله عمر - رضى الله عنه - فى جمع الناس فى رمضان على إمام واحد يصلّى بهم التراويح وهو أبىّ بن كعب، وكانوا قبل ذلك يصلّون جماعات متناثرة. روى البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنهّ قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: إنى أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبىّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نِعْمَ البدعةُ هذه (١)، والتى

---

(١) قال الشاطبى: إنّما سمّاها بدعة باعتبار ظاهر الحال، من حيث تركها رسول الله ﷺ، واتفق أن لم تقع فى زمان أبى بكر رضى الله عنه، لا أنّها بدعة فى المعنى، فمن سمّاها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحّة فى الأسامى (الاعتصام: ١/ ١٩٥).

ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله »[1].

وكلمة (البدعة) هنا في قول عمر « نعمت البدعة هذه » بالمعنى اللغوي وليس بالمعنى الشرعي، لأنّ البدعة من الناحية اللغوية: كلّ ما اخترع على غير مثال سبق في صورته. فعمر هنا يقصد أنّ الناس لم يجتمعوا بهذه الصورة قبل ذلك، وإن كان أصل الاجتماع قد حدث في عهد النبيّ ﷺ، لأنّه كان رغّب في القيام، وصلّى الناس وراءه أكثر من ليلة، ثمّ لما رأى الناس قد كثروا لم يخرج إليهم، فلمّا أصبح قال: « رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلاّ أنيّ خشيت أن تفترض عليكم »[2].

فهذه الخشية .. خشية أن ينزل الله إيجاب هذا الأمر وفرضيّته، زالت بموت النبيّ ﷺ، فزال المانع إذنْ[3].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب صلاة التراويح) باب: فضل من قام رمضان (واللفظ له). ورواه أيضاً مالك في (الموطّأ) باب: بدء قيام ليالي رمضان.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها « أنّ النبي ﷺ صلّى في المسجد فصلّى بصلاته ناس، ثمّ صلّى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلمّا أصبح قال: رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلاّ أنيّ خشيت أن تفترض عليكم، وذلك في رمضان » متفق عليه (نيل الأوطار للشوكاني : ٣ / ٦١) ط. دار الفكر.

(٣) قال الشاطبي رحمه الله: فتأمّلوا ففي هذا الحديث - حديث عائشة المتقدم - ما يدلّ على كونها سنّة، فإنّ قيامه أولاً بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان، وامتناعه بعد ذلك عن الخروج خشية=

المهمَ أنَ معنى « مخترعة » ألاَ يكون لها أصل فى الشرع يدل عليها .

ومن هنا دون السلف العلوم الشرعية، وابتكروا علوما لخدمتها مثل علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلوم اللغة ونحوها .

مضاهاة الطريقة الشرعية :

ثم قال الإمام الشاطبى فيِ التعريف : « تضاهى الشرعيّة » ، أى أنهّا تشابه الطريقة الشرعيّة، من غير أن تكون فى الحقيقة كذلك .

هناك أشياء يخترعها الناس ليس لها فى الشرع أصل، إنّما لها فيِ الشرع وجه شبه، لأنّ فيها نوعا من التعبدّ، ففيها مضاهاة للطريقة الشرعيّة وتشبّه بها بوجه من الوجوه، وهذا هو الذىِ يحسّنها عند المبتدعين وعند أتباعهم، لأنّه لو لم يكن لها شبه بطرق الشرع لرفضها الناس، إنّما هم يحسّنونها بأنّ فيها شبهاً بالطرائق الشرعيّة .

البدعة يُقصد بها المبالغة فى التعبّد :

ثم قال فى التعريف : « يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى

= الافتراض لا يدلَ على امتناعه مطلقا، لأنَ زمانه كان زمان وحى وتشريع، فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام، فلما زالت علّة التشريع بموت رسول الله ﷺ رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له (الاعتصام: ١ / ١٩٤) .

التعبد لله سبحانه»، يعني الذين يبتدعون البدع يقصدون عادة المبالغة في التقرب إلى الله، لأنهم لا يكفيهم ما جاء به الشرع، ويريدون الزيادة عليه، كأنهم يستدركون على الشرع، كأنهم يكملون نقصه، فيبتدعون شيئاً من عندهم.

هل هذه النيّة الحسنة تشفع لهم؟ لا.. لا تشفع لهم، لأنّنا قلنا: لابدّ من الأمرين: النيّة، والمتابعة.. الميزان الظاهر.. أن يكون على أمر رسول الله ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

فهذه هي البدعة في الدين، والبدعة بهذا المعنى ضلالة كما جاء في حديث العرباض بن سارية: «فإنّ كل بدعة ضلالة».

تقسيم العلماء للبدعة والقول الأصوب في ذلك:

هناك بعض العلماء قسّموا البدعة إلى: بدعة حسنة، وبدعة سيّئة [1]. وبعضهم قسّمها إلى خمسة أقسام، بأقسام أحكام الشريعة الخمسة: بدعة واجبة، وبدعة مستحبّة، وبدعة مكروهة، وبدعة محرّمة، وبدعة مباحة [2].

---

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلمات مضيئة في الرد على من يستحسن البدع، أوردها في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص ٢٧٠ فما بعدها، ط. دار المعرفة – بيروت، فلتراجع هناك.

(٢) وقد ناقشهم الإمام الشاطبي مناقشة مفصّلة، أثبت من خلالها: أنّ هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع، لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمَّ بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخيّر فيها. انظر (الاعتصام: ١/١٨٨ – ٢١١) ط. دار المعرفة – بيروت.

والقول الأصوب فى هذا: أنّ الكلام واحد فى النّهاية.. النتيجة واحدة. لأنَهم يجعلون - مثلاً - كتابة القرآن وجمعه فى مصحف واحد، وتدوين علم النحو، وتدوين علم أصول الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى، من البدع الواجبة، ومن فروض الكفاية.

أمّا الآخرون فإنهّم ينازعون فى تسمية هذه (بدعًا)، يقولون: هذا التقسيم للبدعة بالمعنى اللغوى، ونحن نريد بالبدعة (المعنى الشرعى)، أمّا هذه الأشياء فنحن نخرجها مِن البدعة، وليس من الحسن أن يُسمىّ مثل هذا بدعة، والأولى أن نقف عند الحديث الشريف. لأنّ الحديث الشريف جاء بهذا اللفظ الواضح الصريح: «فإنّ كلّ بدعة ضلالة» بهذا العموم.. بهذه الكلّيّة. فإذا كان الحديث يقول: «فإنّ كل بدعة ضلالة» فلا داعىِ إلى أن نقول: إنّ من البدع ما هو حسن، ومنها ما هو سيىء، أو منها ما هو واجب وما هو مستحب... الخ، لا داعىِ لمثل هذا التقسيم. والصواب أن نقول ما قاله الحديث الشريف: «فإنّ كل بدعة ضلالة»، ونقصد بالبدعة المعنى الذى حقّقه الإمام الشاطبى فى هذا التعريف: «البدعة طريقة فى الدين مخترعة» ولا أصل لها فى الشرع، ولا أساس لها، لا من كتاب، ولا من سنّة، ولا من إجماع، ولا من قياس، ولا من مصلحة مرسلة، ولا من دليل من هذه الأدلّة التىِ قال بها فقهاء المسلمين.

لماذا شدد الإسلام فى أمر البدعة؟ :

لماذا شدّد الإسلام فى أمر البدعة، واعتبرها ضلالة، واعتبرها فى النار، وحذّر النبى ﷺ منها أشدّ التحذير؟

أولاً: المبتدع ينصب نفسه مشرّعًا وندًّا لله تعالى:

الحقيقة أنّ الإسلام حذّر منها لأنّ المبتدع – كما أشرت – كأنّه مستدرك على ربه، كأنّه يوهمنا أو يوهم نفسه، أنّه يعلم ما لا يعلم الله، كأنّه يقول: إنّ ما شرعته يارب لا يكفينا، فنحن نزيد على ما شرعت. فهو إذاً قد جعل نفسه مشرعاً، وأعطى نفسه حقّ التشريع، والتشريع من حق الله سبحانه وتعالى وحده، ولذلك قال القرآن: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ..** ﴾ [الشورى: ٢١].

فشرعيّة ما لم يأذن به الله: هذا هو الخطر، لأنّ الإنسان جعل نفسه ندًّا لله سبحانه وتعالى من حقه أن يشرع وأن يبتكر، ويزيد فى دين الله، وهذا باب يمكن أن يأتى منه خطر كبير، يصل بالناس إلى الشرك بالله تبارك وتعالى، وهذا ما أفسد الأديان من قبل.

الأديان الأخرى ماذا حلّ بها؟ حلّ بها الابتداع مفتحة أبوابه على مصاريعها، وجعلوا لأنفسهم حقّ الإضافة فى دين الله، وجعلوا ذلك من حقّ باباواتهم وقسيسيهم، أو أحبارهم ورهبانهم، فأصبح الدين غير الدين، وهذا ما أنكره الإسلام عليهم وسجلّه فى كتابه الخالد حين قال الله تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ**

أرْبابا مّن دُون اللّه والْمسيح ابْن مرْيم وما أُمرُوا إلاّ ليعْبُدُوا إلهًا واحدًا، لاّ إله إلاّ هُو، سُبْحانهُ عمّا يُشْرِكُون ﴾ [التوبة: ٣١].

فاعتبرهم القرآن مشركين.

لما دخل عدىّ بن حاتم الطائى - وكان قد تنصّر فى الجاهليّة - على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» قال: إنهم لم يعبدوهم، فقال النبىّ ﷺ: «بلى إنهّم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إيّاهم» (١).

فعدىّ بن حاتم فهم أنّ العبادة هى الشعائر فقط: الصلاة والركوع والسجود ونحوها، فأفهمه النبى ﷺ أنّه ليس من الضرورى أن يفعلوا ذلك، فالعبادة لها معنى أوسع، الطاعة المطلقة فيما يصنعون، وفيما يحلّون، وفيما يحرّمون، وفيما يخترعون، فى أمور الدين عبادة، لأنّ الربوبيّة هى التى لها حقّ التشريع والتحليل والتحريم، وهى التى تتعبدّ الناس بما تريد، وليس من حق أحد أن يتعبد بما يريد هو.

فالمبتدع إذنْ كأنّه ينصب نفسه مشرّعًا وندًّا لله تبارك وتعالى، ويستدرك على الله عزّ وجلّ.

---

(١) قطعة من حديث رواه أحمد والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم، أنظره فى تفسير ابن كثير (٢ / ٣٤٨) ط. دار الدعوة - استانبول.

ثانياً : المبتدع يرى الدين ناقصاً ويريد أن يكمله :

من ناحية أخرى – وهو فرع عن المعنى السابق – أنّ المبتدع كأنّه يرى الدين ناقصاً وهو يريد أن يكمّل ما فيه من نقص وقصور . والدين قد أتمّ الله علينا النعمة بكماله فقال : ﴿ .. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** .. ﴾ [المائدة : ٣] ، ولذلك روى ابن الماجشون عن الإمام مالك – إمام دار الهجرة – أنّه قال : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ .. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** .. ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً (١) .

فالابتداع في الدين اتهام للنبي ﷺ بالخيانة وعدم تبليغ الرسالة بكمالها، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** .. ﴾ [المائدة : ٦٧] .

الدين قد كمل، فليس في حاجة إلى أن تزيد عليه، لأنّ الكامل لا يقبل الزيادة بحال من الأحوال، الشيىء الناقص هو الذي يمكن أن تضيف إليه وتزيد فيه . إذا كنت لابساً ثوباً سابغاً على مقدار مفصّل عليك تماماً، لو زيد فيه شيء، كان مقتضى ذلك أنّك ستجرّه على الأرض .

---

(١) ذكره الشاطبي في (الاعتصام : ١ / ٤٩) .

obeikandi.com

من هنا وقف الصحابة والأئمّة ومن تبعهم بإحسان ضد الابتداع لأنّه اتهام للدين بالنقص، واتهام للرسول بالخيانة.

ثالثاً: الابتداع يعسّر الدين ويخرجه عن طبيعته السمحة:

من ناحية ثالثة: إنّ الدين قد شرعه الله مُيسّراً، وبعث نبيّه بحنيفيّة سمحة، حنيفيّة في العقيدة، سمحة في التكاليف والأعمال ﴿ ..يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ.. ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿ ..وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.. ﴾ [الحج: ٧٨] « .. فإنّما بعثتم مُيَسّرين ولم تبعثوا مُعسّرين »(١).

فالدين قد جاء مُيَسَّراً للناس، والذين يبتدعون فيه، يخرجون بهذا الدين عن طبيعته السمحة الميَسِّرَة الميَسَّرَة، فهم يُعنتون الناس ويشقّون عليهم، ويضيفون إليه ما يجعله آصاراً وأغلالاً على المكلفّين، وقد جاء النبيّ ﷺ ليضع الآصار والأغلال عمّن كان قبلنا، كما جاء في وصفه ﷺ في كتب الأوّلين.. التوراة والإنجيل: ﴿ ..وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.. ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وجاء

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. ونصّه كاملاً: بال أعرابيّ في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: « دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء، أو ذَنُوباً من ماء، فإنّما بعثتم ميسّرين، ولم تبعثوا معسّرين » (رياض الصالحين للنووي، باب: الحلم والإناة والرفق).

في أدعية القرآن في خواتيم سورة البقرة: ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا..** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فهؤلاء الناس – أي المبتدعون – يريدون أن يعيدوا آصار الأديان السابقة إلى الإسلام، وأن يضيفوا إليه تكاليف تشقّ على الناس، وتكلّفهم شططا، وترهقهم من أمرهم عسرا.

التكاليف الدينيّة بسيطة سهلة جداً، فمثلاً: الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وأفضل صيغ الصلوات: «**اللهمّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد**»[1]. أخذت قدر إيه؟ ربع دقيقة أو نصف دقيقة؟ إنّما يجيء أناس ويضعون كتباً في الصلاة والسلام على النبي، وصيغاً متكلّفة ما أنزل الله بها من سلطان، كنت أرى العامّة يقرأونها ولا يفهمون منها شيئاً.

وفي الأدعية – أيضاً – يضعون للناس أوراداً وأحزاباً، كنت في صغري أذهب إلى المسجد قبل الفجر، فأجد بعض الناس من العوام يحفظون ورداً يقال له (ورد البكرى)، وهو عبارة عن أدعية

---

(١) متفق عليه من حديث كعب بن عجرة (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط، ٣ / ١٩٠، حديث ٦٨١).

مرتبة على حروف الهجاء، يبدأ الدعاء الأول بحرف الهمزة. والثاني بالباء، والثالث بالتاء.... الخ. فمثلاً في حرف الغين: (إلهي غناك مطلق وغنانا مقيد...) ولو سألت أحدهم ما معنى: مطلق ومقيد؟ فإنّه لا يعرف شيئاً.

يا أخي هل هنالك أفضل وأجمل وأيسر من أدعية القرآن، وأدعية السنّة؟ أدعية القرآن مثل: ﴿ ..ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النَّار﴾ [البقرة: ٢٠١]..

وأدعية السنّة مثل: «اللهمّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح دنياي التي فيها معاشي، وأصلح آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» [١]. فلم التكلّف إذنْ؟ ولماذا نعسّر على الناس ونحفّظهم هذه الأدعية؟

في مرّة من المرّات قلت لواحد: لماذا لا تصلي؟ قال: لأنيّ لا أعرف الوضوء! قلت: لا تعرف غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين؟ قال هذا أعرفه، لكني لا أحفظ ما يقال في الوضوء عند غسل كل عضو من الأعضاء! أي أنّه لا يعرف ما يقوله عند بدء الوضوء، كأن يقول: الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً، والإسلام نوراً. وعند الاستنشاق: اللهم أرحمني برائحة الجنة وأنت عنيّ راض. وعند غسل الوجه: اللهم بيضّ وجهي يوم

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة في الذكر والدعاء (٢٧٢٠).

obeikandl.com

تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه. وعند غسل الذراعين: اللهم أعطنى كتابى بيمينى، واجعل محمداً شفيعى وضمينى. وعند مسح الرأس: اللهم حرم شعرى وبشرتى على النار [1].

كل حاجة وضعوا لها دعاء، والرجل المسكين يظنّ أنّه لابدّ – لكى تصحّ صلاته ويصحّ وضوؤه – من حفظ هذه الدعوات الكثيرة، وليس عنده حافظة تسع هذه الأشياء. لماذا هذا كلّه؟

وانظر إلى (الأذان الشرعى) كما يسمّونه، تجده أمرا سهلا يسيرا: الله أكبر الله أكبر.... الخ، كم يأخذ من الوقت؟ دقيقة؟ أو دقيقة ونصف، لكن لو أخذناه بالطريقة التى عليها غالب الناس اليوم: حىّ على الصلا.....ة، حىّ على الفلا.....ح. كم يأخذ؟ أكثر من خمس دقائق.

ولازم (الفلاح) تكون أطول من (الصلاة)، والثانية أطول من الأولى. ثمّ لم يكتفوا بهذا، بل وضعوا للناس صلوات على النبىّ – ﷺ – تُتلى بعد الأذان.

يا أخى ربنا شرع هذه الألفاظ وأوحى بها إلى نبيّه عن طريق الرؤيا [2] التى أقرّها النبىّ ﷺ، فهذا شىء مقصود أن يكون لله تعالى نصيب كذا فى الأذان، ولمحمّد مقدار معينّ، فكيف تأتى

---

(١) أنظر فتوى الشيخ القرضاوى بشأن المأثور وغير المأثور فى أدعية الوضوء، فى كتابه (فتاوى معاصرة) الجزء الأول، ص ٢١٣ – ٢١٤.

(٢) رؤيا عبد الله بن زيد فى الحديث الذى أخرجه أحمد وأبو داود، وصححّه الترمذى وابن خزيمة. أنظر (سبل السلام للصنعانى) باب الأذان.

أنت وتضيف صلوات وكلمات زائدة بحيث يجعل حظ النبى الكريم فى الأذان أكثر من حظ ربنا تبارك وتعالى؟ ليس هذا مكانه يا أخى، لِمَ تخترع من عندك؟

فيا أيها الإخوة:

الإسلام وقف ضد الابتداع، لئلا يدخل الناس فى الدين أشياء تعسّر الدين، وتضيف إليه أشياء تجعله أضعاف ما أنزله الله سبحانه وتعالى، وتكون النتيجة: أنّ الناس يستثقلون تكاليف الدين يضيقون بها ذرعا.

رابعاً: الابتداع فى الدين يميت السنن:

ومن هنا جاء عن السلف، وجاء موقوفاً ومرفوعاً أنّه: ما أحيا قوم بدعة إلاّ أماتوا مثلها من السنّة.

وهذا أمر طبيعى، وهو قانون.. قانون كونى.. قانون اجتماعى، سمّيه ما تسمّيه، كما قال القائل: ما رأيت إسرافاً إلاّ وبجانبه حقّ مضيّع. إذا رأيت إسرافاً فى جانب لابدّ أن تجد تقتيراً فى جانب آخر، فالإنسان إذا وضع طاقته فى البدعة، فلابدّ أن تنحسر هذه الطاقة عند السنّة، لأنّ الإنسان محدود الجهد.

ولذلك تجد المبتدعة ما أسرعهم وما أنشطهم. ينشطون ويسارعون فى البدع، وفى أمور السنّة يضعفون ويفترُون.

أذكر وأنا طالب فى القسم الثانوى من الأزهر بمعهد طنطا – وطنطا هذه فيها مقام (السيّد البدوى) المعروف. وهناك من مشايخنا من يبقى معظم النهار وبعض الليل بجوار مقام السيّد

البدوى! ولقد ناقشت بعض مشايخى رحمه الله، وكان فقيهًا حنفيًّا، ولكنّه كان من الجماعة الذين يقدّسون التصوّف والأولياء، وكان يدرّس لنا باب الأضحية فى الفقه، وأنا كنت أحبّ أن أربط الفقه بالحياة، فقلت له: ياسيّدنا الشيخ: الناس أضاعوا هذه السنّة، وأصبح الذين يضحّون قليلين جدًّا، وأعتقد أنّ المشايخ عليهم تبعة فى هذه الناحية، وبإمكانهم أن ينبهّوا الناس إلى هذه السنّة. [قال الشيخ: إن الناس قد ضعفت إمكانياتهم المادية. قلت: ولكنهم فى مناسبات أخرى يذبحون وهى ليست سنة. قال: ماذا تعنى؟ قلت: أعنى أنهم يذبحون فى مولد السيّد! حينما يأتى مولد السيّد تذبح عشرات بل مئات وآلاف الخراف، وفى عيد الأضحى قلّما يوجد أحد يضحّى!! فلو أنّ المشايخ وجّهوهم إلى هذه السنّة، بدلاً من أن يذبحوا للسيّد، أن يذبحوا فى عيد الأضحى فيحيوا سنّة، وحتى لو لم يتصدّقوا بشىء منها، فإنّ مجرّد إراقة الدم هو إحياء لشعيرة من شعائر الإسلام ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ**﴾]. ما قلت هذا حتى وجدت الشيخ - رحمه الله - هاج علىّ، وأخرجنى من الفصل، واعتبرنى مشاغبا، وكارها للأولياء والصالحين!!

فهذا يذكّرنى أنّه: ما أحيا قوم بدعة، وما شغلوا أنفسهم بها، إلا أماتوا مثلها من السنّة، فهذا هو السرّ فى الإنكار على البدع.

خامساً: الابتداع فى الدين يصرف الناس عن الابتكار فى شؤون الدنيا:

من ناحية أخرى: ما أشرت إليه فى أوائل هذا الحديث، وهو أنّ الناس إذا بذلوا جهودهم وأنشطتهم فى هذه الإضافات والزيادات، التى أضافوها إلى الدين، فلن تبقى لهم طاقة للعمل للدنيا، والابتكار فى شؤونها.

البدعة كما قلنا: «طريقة فى الدين مخترعة»، والاختراع يجب أن يكون فى أمور الدنيا، ولكن مادام الإنسان قد جعل كلّ اختراعاته فى الدين، فلن يخترع فى الدنيا.

ولذلك المسلمون الأوائل ابتكروا فى أمور الدنيا، وعملوا أشياء لم يسبقهم إليها أحد، وقامت فى ظلّ دينهم حضارة شامخة الذرا، جمعت بين العلم واليقين، بين الدين والدنيا، وكانت العلوم الإسلاميّة: الكونيّة والرياضية والطبيّة والفلكيّة والطبيعية، هى العلوم التى تدرّس فى العالم، ويُتتلمذ فيها على المسلمين.

والمسلمون كان دافعهم فى معظم هذه الأشياء دينيًّا، هل تعرفون أنّ علم الجبر المنسوب إلى الخوارزمى اخترعه لماذا؟ ليحلّ مسائل معينّة فى الوصيّة والميراث. الميراث جزء منه رياضى، والوصيّة كذلك. ولهذا كتابه فى الجبر جزءان: جزء فى الوصايا والمواريث، وجزء فى الجبر والمقابلة. ولما جاء الدكتور موسى أحمد والجماعة الذين حققّوا الكتاب، علّقوا على الجزء المتصل بالجبر، أمّا الجزء الفقهى المتصل بالوصايا والمواريث فقالوا: لم نفهمه ولم نستطع أن نعرف منه شيئا.

كان العلم فى الزمن الأوّل متصلاً بالدين، ولم يكن هناك انفصال بينهما [1] . كان معظم العلماء والأطباء علماء دين، ابن رشد مؤلف كتاب (الكلّيّات) فى الطب كان قاضياً صاحب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فى الفقه، وهو أعظم ما كتب فى الفقه المقارن بتركيز وتلخيص وردّ المسائل إلى أصولها.

الذى أريد أن أقوله أنّ المسلمين فى العصور الأولى وقفوا عند النّص وعند السنن فى أمور الدين، وابتكروا واخترعوا، وأنشأوا وطوّروا وحسّنوا فى أمور الحياة. ولما بعدنا نحن عن الدين – فى عصور التخلّف – حدث العكس، اخترع المسلمون أشياء كثيرة جداً فى أمور الدين، وجمدوا فى أمور الدنيا، وقالوا: ما ترك الأوّل للآخر شيئا! وليس فى الإمكان أبدع ممَّا كان! وضربت الحياة بالجمود والعقم، وأصبحت كالماء الراكد الآسن.

فلذلك كان إنكار الابتداع فى الدين معناه توفير طاقات الناس للابتكار وللتطوير فى أمور الحياة.

سادساً: الابتداع فى الدين يفرّق الأمّة ويمزّق وحدتها:

أمر سادس هنا: وهو أنّ الوقوف عند السنن يجمع الأمّة على كلمة واحدة، ويجعلها صفًّا متراصًّا وراء هذا الحق الذى بينّه النبىّ ﷺ، لأنّ السّنّة واحدة، ولكنّ البدع لا تنتهى، الحق واحد ولكنّ

---

(١) بل هذا (الانفصال) هو نفسه بدعة دخيلة لم يكن لها وجود فى الإسلام، لأنه ليس من طبيعته أن ينفصل عن الدنيا. أنظر فصل: (الفصام النكد) من كتاب (المستقبل لهذا الدين) للشهيد سيّد قطب.

الباطل ألوان، صراط الله واحد ولكنّ سبل الشيطان كثيرة جدًّا، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود [١] – رضي الله عنه – أنّه قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا [كان يعلّمهم بوسائل الإيضاح، ووسائل الإيضاح بالنسبة لهم الرمل] ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سبل، على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه» وقرأ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ** ﴾ [**الأنعام**: ١٥٣].

ولذلك لمّا كانت الأمّة وراء السنّة كانت كلمتها واحدة، ولمّا ظهرت الفرق انقسمت الأمّة إلى أكثر من سبعين فرقة، بل كلّ فرقة انقسمت إلى فرق، وكل فرقة تعتقد أنّ ما عليه هي هو وحده الدين، وابتدعت من عند نفسها أشياء. بدعاً بعضها في العقائد، وصلت أحياناً إلى الكفر، مثل الذين أنكروا علم الله وقالوا: إنّ الأمر أُنُف، يعني أنّ الله لم يعلم هذا من قبل، وهم الذين برئ منهم ابن عمر وقال: لو جاء أحدهم بمثل جبل أحد من العمل لم يقبله الله تبارك وتعالى. ومنهم الذين قالوا في ذات الله وشبّهوا الله بخلقه وهم (المشبّهة) و (المجسّمة). ومنهم الذين أنكروا قدر الله عزّ وجلّ وإن لم ينكروا علمه. ومنهم الذين كفّروا المسلمين واستحلّوا دماءهم مثل: (الخوارج) رغم تعبدّهم، ورغم

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، والطبري، والحاكم وصحّحه، وأقرّه الذهبي (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ١/١٩٦ – ١٩٧، حديث ٩٧).

ما جاء في الحديث: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم».

وظهر بعد ذلك المتصوفة، وجاءوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان مثل: الاحتكام إلى الذوق وإلى الوجدان الشخصي، لا إلى الشرع. فليس من الضروري أن يرجع الإنسان إلى حكم ربّه، بل إلى حكم قلبه! يقول أحدكم معتزا: (حدثني قلبي عن ربي!) لأنّه يأخذ من فوق مباشرة!! ولذلك لمّا قيل لأحدهم: تعال نقرأ مصنّف عبد الرزاق، قال: ماذا يفعل بعبد الرزاق من يأخذ عن الخلاّق؟! يعني أنه يأخذ مباشرة من غير وسائط!

وقال بعضهم: تأخذون علمكم ميِّتًا عن ميّت، ونحن نأخذ عن الحيّ الذي لا يموت! مالك عن نافع عن ابن عمر!! مات هؤلاء، هذه السلسلة الذهبيّة – كما يسمونها – سلسلة صدئة عندهم، لا تنفع ولا تشفي.

ومن الأشياء التي جاءوا بها: الحقيقة والشريعة، فأهل الشريعة ينظرون إلى الظواهر، أمّا أهل الحقيقة فهم يعرفون الأسرار والبواطن، ولذلك قالوا: (من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم). فالزاني والسّكّير وشارب الخمر والظالم والطاغية، والذي يعذّب الناس ويقتلهم بالمئات والآلاف، ويهدم مدناً على أهلها، هؤلاء إذا نظرت إليهم بعين الشريعة تمقتهم، لأنّ الشريعة تمقت المنكر والظلم وأهله، ولكن إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تعذرهم، لأنّهم وإن كانوا لا ينفذّون أمر

الله، فهم ينفذّون إرادة الله، لأنّ الله هو الذى أراد هذا.. أقام العباد فيما أراد، تريد أن تنظّم ملكه؟! دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق، وانتهت العمليّة بسلبيّة أمام الفساد وأمام الطغيان، وسلبيّة فى التربية.. سلب شخصيّة الإنسان: المريد بين يدى الشيخ كالميّت بين يدى الغاسل.. من قاله لشيخه: لم؟ لا يفلح.. من اعترض افترض ومن باح راح، وهكذا.

ثمّ كم طريقة وطريقة؟!

الأمّة إذاً لو تركناها للبدع لا يمكن أن تجتمع أو يلتئم لها صف، إنّما تجتمع لو وقفت خلف رسول الله ﷺ، واتبعت المحكم من كتاب الله وسنّة رسوله. ولا مانع – بعد ذلك – أن تختلف فى الفروع، فهذا الاختلاف لا يفسد الأخوّة الإسلاميّة، ولا يمنع الوحدة الإسلاميّة، الصحابة اختلفوا فى الفروع [1] ولكنهّم ظلّوا إخوة، وظلّوا مسلمين.

إنكار البدع ومحاربتها هو الذى حفظ الإسلام:

من أجل هذا كلّه – أيهّا الإخوة – كان الإنكار على البدع وعلى الابتداع، وكان هذا الإنكار هو الذى حفظ لنا جوهر الإسلام إلى اليوم، فلم يُمسخ كما مُسخت أديان أخرى.

صحيح أنّ المسلمين ظهرت فيهم بدع كثيرة، وظهر فيهم مبتدعون، وظهر شياطين وأتباع شياطين، ورؤوس جهّال ليس

---

(١) بل قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: ما يسرنى أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهّم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة.

لهم علم، يفتون الناس بغير علم فيضلّون ويضلّون، ولكن ظلّ هناك في كلّ عصر من يجدّد لهذه الأمّة أمر دينها [١]، ظلّ هناك رجال يحيون السنن ويميتون البدع [٢]، ظلّ أمر السنّة معروفاً على الأقلّ، ولم يحدث أن اجتمعت هذه الأمّة على ضلالة [٣] أو أقرّت البدع، أو أصبحت جزءاً من دينها.

إنكار البدع هو الذي حفظ لنا الأركان الأساسيّة، الصلاة ظلّت خمساً إلى اليوم بمواقيتها وكيفياتها، الصيام لم يُنقل عن شهر رمضان كما فعل أهل الكتاب، وظلّ من الفجر إلى غروب الشمس، الحج ظلّ هو الحجّ، الزكاة ظلّت هي الزكاة، الأصول

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها» رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وغيرهم، وصححّه العراقي والسيوطي. والمراد بتجديد الدين في الحديث: تجديد الفهم له، والإيمان والعمل به. وللأستاذ القرضاوي شرح مفصّل لهذا الحديث في كتابه (من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا) ص ٩ – ٣٦، ط. المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) روى ابن جرير وتمام في فوائده وابن عدي وغيرهم عن النبي ﷺ، قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» وانظر شرحه في (المدخل لدراسة السنة النبوية) للأستاذ القرضاوي ص ٩٥ – ٩٨.

(٣) رُوي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله لا يجمع أمتي – أو قال: أمة محمد ﷺ – على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار» رواه الترمذي واستغربه، ورواه الحاكم بنحوه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) للقرضاوي ص ٢٥، ط. مؤسّسة الرسالة – بيروت.

الإسلاميّة ظلّت كما هي رغم ما حدث من بدع ومن أهواء على توالي العصور.

الذي حفظ هذا، هو هذا المبدأ: أنّ البدع مرفوضة في نظر الإسلام. فأعتقد أنّ الإسلام بهذا كان ديناً عظيماً ومنطقيًّا، وافق كلّ ما يقوله المنطق الصحيح، فإذا رأينا في الناس من يأتي بعد أربعة عشر قرناً من الزمان مضت على هذا الدين، ليكتب مقالة ويقول: (استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلاميّ أم جاهليّ؟) فماذا نقول بعد هذا؟!

وانظروا إلى عمليّة الدسّ في هذا العنوان: أنه يضيف إلى استنكار البدعة (كراهة الجديد)، سبحان الله.. من قال: إن استنكار البدعة يعني كراهة كل جديد؟! المسلمون – سواء كانوا سنيّين أو مبتدعين – يستعملون الأشياء الجديدة، بل أشدّ الناس اتباعاً للسنّة يركب العربات، ويستخدم (التلفون)، ويستعمل (الميكروفون)، ويركب الطائرات، لا أحد يقول: ركوب الطائرة بدعة، ونحن ينبغي أن نركب الجمل كما كان يفعل النبيّ ﷺ..

فما معنى إذاً: (استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلاميّ أم جاهليّ؟) إنّما هي عمليّة دسّ، وضحك على الناس. والشخص الذي كتب هذا يقول: إنّ الإسلام نفسه كان بدعة بالنسبة للجاهليّة، أي أمراً جديداً، ولو مشينا على هذا المنطق –

أى استنكار البدعة – لاستنكرنا الإسلام كما استنكر الجاهليّون الإسلام، لأنّه كان شيئاً جديداً.

سبحان الله.. الجاهلية نفسها هي ابتداع، الذى صنع الجاهلية إنّما هو الابتداع فى الدين، لأنهّم حرَّفوا ملة إبراهيم بما ابتدعوا فيها. ملّة إبراهيم كانت حنيفيّة ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ولكن أدخلوا فى هذه الملّة الحنيفيّة أشياء بالابتداع، وطبعاً قصدوا بهذا: المبالغة في التعبّد. حينما عبدوا الأصنام، لماذا عبدوها؟ قالوا: ﴿ **.. مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر: ٣]. والجماعة (الخمس) الذين أضافوا إلى الحج أشياء، لماذا أضافوها؟ قالوا: إنّنا لا يجوز أن نطوف بثيابنا لأننا عصينا الله بها، فطافوا بالبيت عراة.

فمفاسد الجاهلية وقذاراتها إنّما صنعها فى حقيقة الأمر (الابتداع) فى الدين الذى أنزل الله تبارك وتعالى به كتبه، وبعث به رسله ،مبشرين ومنذرين. الإسلام إنما هو عودة إلى الأصل، إلى دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهي الملة التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ [النساء:١٢٥].

الحقيقة أنّ ما كتبه هذا الكاتب كلّه مغالطات، ولكنّى أحببت أن أرجع الأمور إلى جذورها، حتى نتبيّن الموقف الصحيح من السنّة، ومن البدعة.

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم، وصلّى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعض تحريفات كاتب المقال:

وإليكم شيئا مما كتبه الكاتب الذى أشرنا إليه فى المقالة المنشورة فى مجلة «الدوحة».

يقول وهو يردّ الأحاديث النبوية حتى ما رواه البخارى ومسلم منها، فينكر حديث «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة..» كما ينكر الحديث النبوى «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، أو لتبعتموه..».

ويدعى أن ذلك مخالف للقرآن..

كيف يقول ذلك؟ كيف يكون مثل هذا الحديث مخالفا للقرآن؟

إن ابن تيمية ألف كتابا فى هذا الأمر سماه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم» الصراط المستقيم الذى يسأل الله عز وجل يوميا سبع عشرة مرة أن يهدينا إياه.. بقراءة الفاتحة ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ هذا يقتضى مخالفة أهل الجحيم المذكورين فى قوله تعالى: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ فأهل الجحيم هم المغضوب عليهم والضالون.

فنحن لنا صراط، وهم لهم طرق أخرى.

وقد جاء فى الحديث: المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى.

obeikandl.com

فصراطنا غير طرقهم. فالقرآن جعل لنا طريقا غير طرق هؤلاء.
ونهانا في آيات كثيرة أن نكون مثلهم، أو أن نفعل فعلهم.
كما قال: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُم الْبَيِّنَات..** ﴾.

وغير ذلك من الآيات القرآنية.. والأحاديث النبوية الكثيرة. التي يفيد مجموعها بيقين، بأن هذه الأمة متميزة، في شخصيتها، لا يجوز أن تكون ذنباً للأمم.. ومن هنا جاء في الأحاديث لفظة «خالفوهم» وتكررت في أكثر من موضع.

استقلال شخصية الأمة الإسلامية جاء من هنا.. وتميزها عن سواها.. سواء في المظهر والمخبر.. فلا نتبع سنتهم ولا نتخلف بأخلاقهم أو نتعود بعاداتهم وتقاليدهم.. فتكون لنا هي النهج الأمثل..

ينبغي أن تكون لنا شخصيتنا، لأن الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط شهداء على الناس.. لنا مكانة الأستاذية بالنسبة للأمم. نحن خير أمة أخرجت للناس. فكيف نتبع غيرنا. فالرسول ﷺ يريد أن يعرس فينا هذه المعاني من الاعتزاز بالشخصية والتميز والاستقلال، ولا يريد منا أن نكون ذيولاً وأتباعاً لغيرنا.

ولذلك جاء هذا الحديث، وإن كان خبراً إلا أنه يحمل معنى التحذير «لتتبعن سنن من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع.. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». أي لو دخلوا جحر ضب، كان جحر الضب «موضة» اسمها «موضة جحر الضب» فإذا أطالوا سوالفهم أطال شبابنا سوالفهم، وإذا صاروا خنافس، صار

شبابنا مثلهم.. فأين شخصيتنا المتميزة المستقلة أمام هذا التقليد الأعمى؟

هل ينسلخ المرء من دينه وشخصيته الإسلامية ليتبع غيره على ضلالة؟

وكيف يقال بأن هذا الحديث مخالف للقرآن؟

وحين سئل النبى ﷺ: مَنْ يا رسول الله؟ اليهود والنصارى؟؟ قال: فمن؟

أليس من المؤسف أن يصبح أساتذتنا هم النصارى واليهود؟! إننا ننفذ ما كتب فى «بروتوكولات حكماء صهيون» سواء صحت نسبتها أم لم تصح إليهم. وما أراده هؤلاء غدونا ننفذه من حيث نشعر أو لا نشعر.. أصبحنا طوع أيديهم..

إن الكاتب ينكر على المسلمين أن يرجعوا إلى طريقة النبى ﷺ والصحابة وأسلوب حياتهم.. وعجبا لذلك؟! هل اتباع النبى ﷺ وأصحابه فى أسلوب حياتهم يستدعى الإنكار؟؟ إننا نأخذ بمنهج حياته عليه الصلاة والسلام وحياة أصحابه من بعده فى حسن تطبيق الدين وفهمه، والعمل بمقتضاه.. والحرص على أصوله، والاهتمام بجوهره، والعناية بأمور الحياة والتطوير فيها.. هذا هو المقصود بالاتباع.

ثم يقول الكاتب «غير إننى أنظر فأرى من بين الأحاديث الشريفة ما يذهب إلى أن العلماء هم ورثة الأنبياء. وأفهم من هذا الحديث على أن وارث التركة واجباً خلقيا، يحتم عليه رعاية التركة وإنماءها، فعلى ورثة الأنبياء أن يرعوا التراث الروحى الذى

خلفوه وأن ينمّوه. وكما أن من حق وارث حانوتي أريب، بل من واجبه أن يسعى إلى أن يوسعه ويضيف إليه فيزيد من أنواع السلع المعروضة فيه، ويستبدل سلعًا رائجة بسلع قد كسدت، وفتر الطلب عليها، مراعاة منه لأحوال السوق، كذلك على العلماء ما يشبه ذلك بما يتصل فيما ورثوه».

أى على العلماء، أن يزيدوا فى الدين ويوسعوا ويضيفوا ويبتدعوا... فبالله عليكم.. هل هذا منطق؟؟ وهل هذا كلام مقبول أو معقول؟؟ أن تقاس تعاليم الدين على بضائع الدكاكين!!

ثم يقول «بيد أن معظم علماء المسلمين لا يرون توسعا أوإضافة، ولا يأخذون إلا بالتقليد الأعمى والجحود الباطل، مستندين فى تبريرهم قفل باب الاجتهاد إلى عظمة شأن الإسلام فى عصره الأول» سبحان الله! إن إقفال باب الاجتهاد هو نفسه بدعة؛ لأنه ابتداع لم يقله النبى ﷺ ولا فعله الصحابة، وإنما هو ابتداع من العصور المتأخرة. إنه لا يملك أحد أن يغلق باب الاجتهاد الذى فتحه الله ورسوله ﷺ.

أمور الدنيا، يمكن أن تزيد فيها وتوسّع، أما أمور الدين فلا يجوز الزيادة فيها أو النقص منها، لأن ذلك – كما قلنا – استدراك على الله، واتهام الدين بالنقص... الخ.

فما معنى أن توسع فى الدين إذن؟! إن الكامل لا يقبل الزيادة.

وقوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ،وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

* * *

الفـهـرس

الموضوع	الصفحة
السنة والبدعة	٥
معنى السنة لغة واصطلاحًا	٦
معنى البدعة عند الإمام الشاطبى	١٠
البدعة مجالها الدين	١٠
الاختراع ينبغى أن يكون فى شؤون الدنيا	١٨
ما كان له أصل فى الشرع لا يُعد بدعة	١٩
مضاهاة الطريقة الشرعية	٢٣
البدعة يقصد بها المبالغة فى التعبد	٢٣
تقسيم العلماء للبدعة والقول الأصوب فى ذلك	٢٤
لماذا شدد الإسلام فى أمر البدعة ؟	٢٦
أولاً : المبتدع ينصب نفسه مشرعًا وندًّا لله تعالى	٢٦
ثانيًا : المبتدع يرى الدين ناقصًا ويريد أن يكمله	٢٨
ثالثًا : الابتداع يعسر الدين ويخرجه عن طبيعته السمحة	٢٩
رابعًا : الابتداع فى الدين يميت السنن	٣٣
خامسًا : الابتداع فى الدين يصرف الناس عن الابتكار فى شؤون الدنيا	٣٥
سادسًا : الابتداع فى الدين يفرق الأمة ويمزق وحدتها	٣٦
إنكار البدع ومحاربتها هو الذى حفظ الإسلام	٣٩
بعض تحريفات كاتب المقال	٤٣
الفهرس	٤٧

* * *

رقم الإيداع : ٩٥٣٥ / ٩٩

الترقيم الدولى : I. S. B. N.

977 - 225 - 134 - 5

obeikandl.com